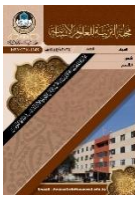

مجلة التربية للعلوم الانسانية

مجلة علمية فصلية محكّمة، تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة الموصل

أثر المتغيرات الطبيعية والبيئية في وظائف مدينة بغداد في العصر العباسي

ضياء ادهام سليمان [1] نوفل محمد نوري [2]

جامعة الموصل / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ / الموصل – العراق [1، 2]

معلومات الارشفة

تاريخ الاستلام : 2025/5/27

تاريخ المراجعة : 2025/7/8

تاريخ القبول : 2025/7/17

تاريخ النشر : 2026/7/25

الكلمات المفتاحية :

المتغيرات الطبيعية، وظائف المدن، المدن الإسلامية، بغداد، التحوّل الوظيفي

معلومات الاتصال

ضياء ادهام

deyaa.23ehp108@student.uomosul.edu.iq

الملخص

عرضت الدراسة تأثير المتغيرات الطبيعية والبيئية المتمثلة بالموقع الجغرافي، والمناخ، والتربة، ووفرة المياه في وظائف مدينة بغداد.

تبين من خلال البحث أن العوامل الطبيعية والبيئية لم تكن مجرد عناصر هامشية في نشوء المدن وتطوّرها، بل إنها مثلت عناصر أساسية فاعلة أسهمت بشكل كبير إلى جانب السلطة السياسية في تحديد وظائف المدن الحضرية السياسية والاقتصادية والثقافية؛ إذ يمكن لها أن تؤدي دوراً محفزاً في النمو والازدهار وفي الوقت ذاته قد تتسبب في التراجع الحضري والانحسار الوظيفي في المدن عند حدوث اختلالات طبيعية وتغيرات بيئية لا يمكن السيطرة عليها.

يدرس البحث وفق منهج تاريخي – تحليلي– بيني تفاعل العناصر الطبيعية والبيئية مع الوظائف الحضرية لمدينة بغداد، وكيف أسهمت هذه العوامل عند تكاملها في حالة الازدهار، ومن ثم ذكر دورها عند اختلال توازنها في حالة الانحدار التي أصابت المدينة.

الهدف من البحث هو إظهار أهمية العوامل الطبيعية في تفسير مسارات وظائف المدن الاسلامية وفق رؤية بينية مغايرة تربط الجغرافيا بتحولات التاريخ الكبرى

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Journal of Education for Humanities

A peer-reviewed quarterly scientific journal issued by College of Education for Humanities / University of Mosul

The Impact of Natural and Environmental Changes on the Functions of the City of Baghdad during the Abbasid Era

Diyaa Idham Suleiman [1] **Naufal Mohammed Nouri** [2]

University of Mosul / College of Education for Humanities / Department of History / Mosul - Iraq [1,2]

Article information

Received : 27/5/2025
Revised 8/7/2025
Accepted : 17/7/2025
Published 25/7/2026

Keywords:

Natural Variables, Urban Functions, Islamic Cities, Baghdad, Functional Transformation

Correspondence:

Diyaa Idham

deyaa.23ehp108@student.uomosul.edu.iq

Abstract

This study explores the impact of natural and environmental variables—namely geographical location, climate, soil, and water availability—on the functions of the city of Baghdad. The findings demonstrate that these factors were not merely marginal in the emergence and development of cities, but rather essential and active elements that significantly contributed, alongside political authority, to shaping the political, economic, and cultural functions of urban centers. Natural and environmental conditions could act as catalysts for growth and prosperity; however, when disrupted by uncontrollable changes, they could also lead to urban decline and functional deterioration.

Using a historical, analytical, and interdisciplinary approach, the research examines the interaction between natural and environmental elements and the urban functions of Baghdad—how their integration supported the city's flourishing, and how their imbalance contributed to its decline.

The aim of the study is to highlight the importance of natural factors in explaining the trajectories of urban functions in Islamic cities, through an alternative interdisciplinary perspective that connects geography with major historical transformations

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المقدمة

لقد شـــهد العصـــر العباســـي الكثير من التطورات والتغيرات في بنية المدن ووظائفها، إذ أدت العوامل الطبيعية المتمثلة بالموقع الجغرافي، والمناخ، والتضـــاريس، والموارد الطبيعية الى جانب غيرها من العوامل دورًا بارزًا في تشكيل ملامحها وتحديد طبيعة أنشطتها ووظائفها الحضرية.

وكانت مدينة بغداد من أهم هذه الحواضـر التي أنشـئت وفق عناية فائقة روعي فيها مختلف الاعتبارات الطبيعية والبيئية حتى غدت في مقدمة المدن العباسية من حيث الوظائف الحضرية والمكانة السياسية، إلا إن المدينة لم تسـلم من عوادي الدهر، إذ انتابتها تحولات أفضـت إلى تراجع ملحوظ في الأداء الوظيفي للمدينة، نتيجة جملة من المتغيرات الســياســية والبيئية والتي القت بظلالها على الجوانب الاقتصـــادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية.

ينطلق البحث من إشكالية جوهرية تفضـي إلى فهم تأثير العوامل الطبيعية والبيئية في الوظائف الحضـرية للمدن ازدهاراً وانحداراً إلى جانب المتغيرات السياسية والاقتصادية المعروفة.

تهدف الدراســة إلى معرفة تأثير العوامل الطبيعية ودورها في رسـم مسـارات التطور الحضـري لمدينة بغداد، ورصـــد المتغيرات الطبيعية التي طرأت في مراحل لاحقة وتحليل مدى تأثيرها في الوظائف الســـياســـية، والاقتصادية، والثقافية.

تكمن أهمية الدراسـة في فهم تأثير العوامل الطبيعية في تحديد مصـائر المدن وتغير وظائفها الحضـرية، وتسـليط الضـوء على مدينة بغداد كمركز حضـري تأثر وتطور في بيئة طبيعية متغيرة، من خلال الجمع بين المنهج التاريخي والتحليل البيئي وهو منحنى قلما اتبع في الدراسـات التاريخية في العصـر العباسـي على أقل تقدير. وبناءً على ذلك، فإن دراســة أثر المتغيرات الطبيعية على وظائف المدن، يُعد مدخلاً مهماً لفهم آليات التكيف مع البيئة وتحقيق تنمية حضرية مستدامة. وأما هيكلية الدراسة فقد قسمت على مقدمة، وثلاثة محاور، فضلاً عن نتائج البحث على النحو الاتي:

- أولاً: البيئة الطبيعية عاملاً مُحدِّداً للمسار الوظيفي للمدن:
- ثانياً: التحولات الطبيعية والبيئية وأثرها في التدهور الوظيفي للمدن:
- ثالثاً: أثر العوامل الطبيعية والبيئية في التحولات الحضرية والوظيفية لمدينة بغداد.

1. العوامل الطبيعية والبيئية وأثرها في التطور الوظيفي للمدينة:
2. أثر المتغيرات الطبيعية والبيئية في التدهور الوظيفي لمدينة بغداد:

أ/ السيول والفيضانات وأثرها التدميري في تدهور وظائف مدينة بغداد:

ب/تغير مجرى نهر دجلة وأثره في التدهور الوظيفي للمدينة:

جـ- المتغيرات المناخية والبيئية وأثرها في التدهور الوظيفي للمدينة:

د/رصد مسار التدهور الحضري والوظيفي من خلال الكتابات التاريخية:

أولاً: البيئة الطبيعية عاملاً مُحدِّداً للمسار الوظيفي للمدن:

ثمة علاقة متبادلة بين الإنسان والبيئة المحيطة به، فهو يؤثر فيها، كما أنها تؤثر فيه، وتفرض عليه طابعها، وتحدث أثراً في تطور حياته ونظمها.(استيتية،2010، ص46-47) وهي عامل مُلهم يحمله على التكيف مع المكان والاستيطان به، فهي التي تهيئ الاطار المكاني لنشأة المدن، بينما يتولى الانسان بدوره تكييفه بما يتوافق مع احتياجاته ومتطلبات عيشه.(الموسوي، 1982، ص105-199)

إن البيئية الطبيعية المتمثلة بالموقع، والمناخ والتربة، ووفرة المياه، ركيزة أساسية في نشأة المدن، وتنوع أنشطتها، وتعدد وظائفها، وهي من المتطلبات الأساسية لظهور المدن ونموها وتطورها من بعد السلطة السياسية، والتنظيم الاجتماعي، وهي ضرورية للنمو الحضري وتطور الحياة الاقتصادية، بحيث يمكن أن تدعم التجمعات السكانية، وتوفر لها سبل العيش باطمئنان.(Sjoberg, 1960.p27) وفي ذلك يقول فكتور كزن: أعطني خريطة بلد ما، ومعلومات وافية عن موقعها ومناخها، ومائها، ومظاهرها الطبيعية الأخرى، ومواردها، وإمكانياتها الطبيعية، وبإمكاني في ضوء ذلك أن أحدد لك أي نوع من الإنسان يمكن أن يعيش في هذه الدولة، واي نشاط ممكن ان يمارسه، وأي دور يمكن أن تؤديه هذه الدولة في التاريخ. وليس هذا الحكم قائماً على مجرد الصدفة بل هو قائم على أساس الضرورة التي تحتمها البيئة.(Cousin,1967.p32)

فالعوامل الطبيعية تترك طابعها على التجمعات البشرية في المدن، وهي التي تحدد أشكال الأنشطة الاقتصادية التي يمكن أن يمارسها الإنسان في المكان الذي يعيش فيه، سواء الزراعية، أو التجارية، أو الصناعية، فالبيئة الصحراوية فرضت على الإنسان ممارسة الرعي، والبيئة الخصبة فرضت على أهلها ممارسة الأنشطة الزراعية، كما أن البيئة ذات المواقع الاستراتيجية المتوسطة للمدن يُهيئ لأهلها ممارسة الأنشطة التجارية. (استيتية،2010، ص46-47) وبهذا كلما توافرت ظروف طبيعية واقتصادية ملائمة في المدن تلائم استقرار الناس، وقامت وشائج قوية بينهم، وكان ذلك ادعى لظهور المدينة ونموها وتنوع نشاطاتها.(ممفورد 2016، ص212-213) وقد أثبتت التجارب التاريخية أن المدن التي نشأت في بيئات طبيعية مؤاتيه، كالتربة الخصبة، والمناخ المعتدل، والمياه الوفيرة، وطرق النقل الأمنة، تتهيأ لها إمكانية فائقة للنشاط الاقتصادي وَمِنْ ثَمَّ تزداد الهجرات إليها، فتكون اكثر قدرة على التوسع والاستمرارية، والبقاء نامية ومزدهرة، وأكثر قدرة على التطور سياسياً، واقتصادياً، وثقافياً. (الموسوي، 1982،ص 199-205) ففي الوقت الذي يمكن أن تفقد المدينة المقومات التي تحافظ على بقائها واستمراريتها كالعوامل السياسية والعسكرية، فالقلعة يمكن ان تُهدم، والنظام السياسي الساند يمكن أن يزول، إلا أن العوامل الطبيعية من موقع جغرافي، وخصوبة التربة، ووفرة الخيرات، والرخاء الاقتصادي مع ديمومتها هي التي تُسهم في ترسيخ مكانة المدينة، وتثبت وجودها واستمراريتها كمركز حضري. (Sauvaget,1941p13)

فالموقع الجغرافي وما فيه من موارد مادية وبشـــرية من العناصـــر المهمة في نمو المدينة وتطورها. Geddes, (1960.pp74-76) كما أن المدن تلعب أدواراً مختلفة اعتماداً على موقعها(Berger, 1978,pp106/112) . فبعض المدن تنمو وترتقي لتمييز موقعها، وتنحسر مدن أخرى بانحطاط وتضـاءل موقعها فالموقع المرتفع المحصـن طبيعياً يؤمن للمدينة وسيلة دفاعية ينتج عنه مدينة حربية ذات وظيفة عسكرية، وسياسية، والموقع على بحر أو نهر أو مفترق طرق يؤمن تجارتها وزراعتها وينم عن وظيفة اقتصـادية تجارية، والموقع في منطقة سـهلية خصـبة يَجلُب السكان ويُكثِر العمران وتنشط الوظائف الزراعية والصناعية.(محمد 2016، ص111-116)

ولا يقل المناخ أهميةً عن الموقع من حيث التأثير على المدن وأنشـــطتها، إذ إن علاقته بازدهار المدن ونشوء الحضـارة وثيقة للغاية، فأثره بائن في نشـاط الإنسـان، وتحديد قابلية سكنه وإقامته في الموقع، وتحديد المهن ونمط الحياة، كما أنه يؤثر في انفعالات الإنسان ودوافعه وصفاته، وطريقة تفكيره، وصـنع أدواته، ونوع مأكله مشربه، ومسكنه، (Huntington,1945,pp263-269/296/343) وهو يُعد من الاعتبارات الصحية التي يجب مراعاتها عند اختيار مواقع المدن، لما له من أهمية كبيرة في التأثير في نشـــاط المدينة ووظائفها، وهذه الاعتبارات بلا شـــك لها أثر في إقبال الناس على المدن، وإدبارهم عنها، كونها تمس النواحي الصحية لمن يقيم فيها من البشر.(عثمان 1988، ص91-93) وكما هو معلوم فقد نشأت معظم الحضارات في الأماكن المعتدلة مناخياً. (Huntington,1945,p263-269,) كما دأب الحكام منذ القدم على اختيار مراكز حكمهم وعواصمهم في المناطق الأمثل مناخاً من الدولة، في حين تكون المدن ذات المناخات المتطرفة الشديدة البرودة او الحرارة عرضة للهجر والإهمال والتجافي. (حمدان، د.ت، ص 92-93)

وقد أولى المسلمون منذ صدر الإسلام عنايةً فائقة بالعوامل الطبيعية عند اختيار مواقع المدن وتخطيطها، إدراكًا منهم لأثرها البالغ في اســـتقرار الســـكان وازدهار العمران. وقد اســـتمر هذا الوعي البيئي وتطوّر في العصور اللاحقة، وتجلّى بوضوح في العصر العباسي، ولا سيما عند تأسيس مدينة بغداد، حيث روعيَت جملة من المعايير البيئية والصـحية التي تضـمن سـلامة الموقع وجودة المعيشـة فيه. فقد كان المسـلمون يحرصـون على أن تكون مدنهم في مواضع صحية، خالية من الحشرات والهوام، طيّبة الهواء، بعيدة عن الملوحة والوباء، وكانوا يستعينون بالأطباء والدهاقين لاختيار المكان الأنسب لبناء المدن، بل كانوا يبيتون في الموضع المختار ليتأكدوا من جودة مناخه، وعذوبة مياهه، وســلامة طعامه وشــرابه، فإن ظهرت علامات الصـــلاح أُنشـــئت المدينة، وإن كان المكان ســـبخًا، أو شـــديد الحرارة، أو كثير البعوض، أُهمل وانتُقل إلى غيره. (ابن الفقيه 1996،ص262؛ ابن الأثير 1997،ج2ص352؛ الحموي 1993،ج5ص348)

وقد كشفت كتب التراث الإسلامي المعنية بعلم الاجتماع والسياسة عن جملة من الشروط الطبيعية الواجب مراعاتها عند بناء المدن، دفعًا للمضار وجلبًا للمنافع، وضمانًا لاستقرار السكان ودوام العمران. وقد عدّ تكامل هذه الشروط من أسباب بقاء المدن، في حين يؤدي الإخلال بها إلى ضعفها وزوالها. ومن أبرز هذه الشروط: أن تُبنى في مواضـع حصـينة يصـعب اقتحامها، كالهضـاب أو ما تحيط به الأنهار، وأن تكون طيبة الهواء،

صـالحة الماء، سليمة التربة، قريبة من المراعي وموارد المياه، ومتصلة بمصـادر التموين من البحر أو النهر. أما المدن التي تُنشأ بإهمال هذه المعايير، فتكون عرضـة للآفات، ومثارًا للنفور والاضـمحلال.(ابن أبي الربيع 1996، ص106؛ الماوردي د.ت، ص162-163 ؛ ابن خلدون 1981،ج1 ص433-435؛ ابن الأزرق د.ت، ج2 ص283/277)

نستنتج مما سبق أن الاعتبارات الطبيعية لها أثر كبير في أقبال الناس على المدينة، واتخاذها موطنا لهم، ومسـتقر ومقام، لا بل حتى الحكام والخلفاء اخذوا هذه الاعتبارات في الحسـبان عند النزول في المدن، فغالبا ما يختار الحاكم المدينة الألطف جواً وأكثر ماءاً، فيؤدي ذلك إلى انتعاش المدينة وازدهارها، كما إن أي تغير يطرأ في هذه الاعتبارات الطبيعية يجعل المدينة عرضة للهجر والإهمال، والاضمحلال والزوال.

ثانياً: التحولات الطبيعية والبيئية وأثرها في التدهور الوظيفي للمدن:

لـم تكـن المـدن ووظائفهـا الحضـرية بمنـأى عـن تـأثيرات البيئـة الطبيعيـة وتحولاتهـا، فمثلمـا تسـهم العوامـل الطبيعيـة والبيئيـة فـي نمـو المـدن وازدهارهـا وتنـوع أنشـطتها، وتحديـد وظائفهـا عبـر تاريخهـا الطويـل، فإنهـا يمكـن أن تتسـبب عنـد تحولاتهـا واخـتلال توازنهـا فـي انحـدار المدينـة، وجمـود أنشـطتها، وتبـدد وظائفهـا، وهـو مـا يثبـت أن البيئـة الطبيعيـة مزدوجـة التـأثير فـي المـدن ووظائفهـا الحضـرية ازدهاراً وانحداراً .

إن أي تقصير أو تغيير أو تبدل او تفاوت في الاعتبارات الطبيعية والبيئية التي على أساسها اختير موقع المدينة تتفاوت معه جودة المصـــر أو رداءته، وازدهاره وانحلاله، فعندما يتم اختيار موضـــع المدن، ويكون الواضـع غافلاً عن حسـن الاختيار الطبيعي، غير مراعٍ له، إنما يراعي ما هو أهم لمصـلحته ومصـلحة قومه، عندها تؤول المدن إلى الاضـمحلال والخراب، كما أنه اذا تمعن الواضـع في اختيار الموضـع المناسب، ذات الأحوال الطبيعية الملائمة تنمو المدن وتزدهر وتتعدد أنشـــطتها.(ابن خلدون 1981، ج1 ص448؛ ابن الأزرق د.ت، ج2 ص283)

إن اختيار الظروف البيئية الملائمة والمناسـبة للمدن غالبا ما تجبر السـكان على الإقامة وطول البقاء في المكان، والاسـتمرار في ممارسـة نشـاطاتهم، حتى وإن جابهتهم الصـعاب ، لكن اي خرق بيئي يجابههم يدفع القاطنين للنزوح من المكان، وبهذا تهجر المروج الخضـراء من سكانها عندما تواجهها متغيرات طبيعية تجعل العيش فيها صـــعباً، وتنشـــأ أعظم المدن في الصـــحاري عندما تتوافر فيها ســـبل الحياة وتتخللها المياه والمستنقعات. (Maisels, 1993,p216)

وقـد فـسر الـمؤرخ والـجغرافي الامريكي هنتنجتون ظـــهور الـــممالك والـــمدن وسقوطها وفق مفهوم الحتمية الجغرافية في تفسـير تغير المجتمعات. وذهب إلى القول بأن حضـارة وادي النيل ازدهرت نظراً لتوفر بيئة جغرافية خاصـــة متمثلة بملائمة الطقس والتربة ونوعية المحاصـــيل ، وانقرضـــت هذه الحضـــارة بفعل

تغيرات جغرافية أيضـــا بعد ارتفاع درجة الحرارة في وادي النيل وما ترتب عليها من جفاف التربة الأمر الذي خلق بيئة لا يمكن أن تحافظ على ثمار الحضارة. (Huntington 1915,vol 2. Pp225)

وناقش ميدلتون في كتابه (فهم الانهيار): الكثير من الآراء والنظريات التي طرحت حول مصير الكثير من المدن والممالك الضاربة في التاريخ، التي لم يبقَ منها إلا أطلالها، وعزي خرابها الى المتغيرات الطبيعية، مبيناً أنه من غير المنطقي الادعاء بأن الدمار البيئي يجب أن يكون العامل الرئيس في كل الانهيارات التي تصـــيب المدن، وان الحروب والغزوات والمناخ والأمراض والأوبئة، والزلازل والبراكين كلها عوامل يمكن تضـمينها جميعاً وجعلها من مسـببات الانهيار وسـقوط الحضـارات وانهيار المدن، وإحداث التحولات الثقافية والاقتصـادية. وقد تحدث عن مدن ذات قوى سياسية وعسكرية، وصـلات تجارية وثقافية، أهلكتها المتغيرات الطبيعية بالتعاون مع المتغيرات الاجتماعية والسـياسـية؛ فتلاشـت بعد نحو قرن من نشـأتها، إذ أدى تغير المنـاخ وقلـة الموارد إلى إخلاء المنطقـة من كثـافتهـا البشـــريـة، وتنـاقص أعـداد المنـاطق المـأهولـة بالســـكان، وتقلص المســـاحات المعمورة، وتحولت مدنها إلى مناطق مهجورة.(ميدلتون، 2023،ص 86-112/90-113)

وقد تعددت وتنوعت مظاهر المتغيرات الطبيعية والبيئية التي أثرت بشـــكل فعال في تحول أحوال المدن واضمحلالها وخرابها، وتبدد أنشطتها ووظائفها.

يأتي في مقدمة المتغيرات الطبيعية المؤثرة في أنشـطة المدن، تغير أهمية الموقع،إذ إن الموقع الجغرافي ليس عنصـــراً ثابتاً، بل هو عنصـــر متغير في أهميته من وقت لآخر.(عطوي 1996،ص55) فإذا ما زادت أهمية الموقع اســـتقبلت المدينة نمواً وازدهاراً وتنوع وتعدد في الوظائف والنشـــاطات، وهذا ما ينعكس على الجانب العمراني للمدينة، وإذا ما قلت قيمة الموقع وفقد أهميته، لسبب من الأسباب، ينتاب المدينة فترة تدهور وركود وفقدان للأنشطة (وهيبة 1980،ص83) كما إن موقع المدينة على طرق التجارة يبث فيها الحياة، وان عمر المدينة يطول مع اســـتمرار الطريق وإن أي تحول أو تغير أو اندثار يطرأ على طرقها التجارية يجعل المدينة عرضة للزوال والاندثار، وفي التاريخ أمثلة كثيرة عن مدن تدهورت واندثرت بفعل تحول الطرق عنها.(الموســـوي، 1982، ص207-208) وكذلك اختيار مواقع المدن على ضـــفاف الأنهار يؤمن لها قدرات وأنشطة اقتصـادية مختلفة، مثل ممارسة الزراعة، والتجارة، إضـافة إلى رفع قدرتها الدفاعية حيث تمثل حواجز طبيعية لتحصـين هذه المدن، إضـافة إلى انه يمثل مصـدر وفرة المياه الصـالحة وهو ما شـجع على استيطان هذه المدن، وجذب السـكان للإقامة فيها وممارسـة الأنشـطة الاقتصـادية المختلفة، ونموها وازدهارها، وتنوع وظائفها وأنشـطتها، كما أن تغير مجاري الأنهار عن هذه المدن، وابتعاده عن مراكزها، قد يتسـبب في التأثير في نشـاطاتها ووظائفها، وشـحة مياهها، وهجرها من سـكانها، ويدفع الناس عن المكوث والإقامة فيها فيؤول أمرهـا إلى الخراب. (الموســـوي، 1982،ص202-203؛ عثمـان، 1988،ص87-88؛ الخطيـب، 2014،ص322-324)

ولا تقل المتغيرات المناخية، أثراً عن تغير قيمة الموقع، في تأثيرها من نمو المدن وتطورها، فالعديد من المدن في العصـور القديمة قد نهضـت أو سـقطت في تناغم مع الأحوال المناخية المواتية أو غير المواتية، فالتغيرات في مناسـيب سـقوط الأمطار والجفاف لها تأثير عظيم على البلدان والأمم، ارتفاعاً وانخفاضـاً، فارتفاعها في بعض المدن والبلدان كان سـببًا في تنشـيط الزراعة واتسـاع الاسـتيطان حتى في المناطق الصحراوية. في حين تضطر فترات الجفاف الشديدة، وما ينتج عنها من ضائقة اقتصادية، ليس البدو الرحل فحسـب بل حتى في الأماكن الأكثر تفضـيلاً، تدفع الناس إلى الهجرة وترك المكان، ولا تزال آثار المدن المهجورة، وطرق القوافل القديمة، والينابيع الجافة المنتشرة في الصحارى شاهدة على تحولات مناخية عميقة أفقدت تلك المدن وظائفها ومكانتها. (Huntington,1915,vol2.pp225/273–274) وقد نبّه المسعودي إلى أثر المناخ في النشاط الإنساني، مبينًا أن بعض المدن يتعذر فيها العمل بسبب شدة البرد في الشتاء أو الحر في الصيف، مما يؤثر سلبًا على المهن والصناعات، وقد يدفع السكان إلى مغادرتها رغم ارتباطهم بها. (المسعودي، د.ت، ج1، ص 37–38)

وتُعدّ الأوبئة والأمراض من المتغيرات الطبيعية التي كان لها أثر بالغ في تدهور وظائف المدن وتغيّر مساراتها. فقد تسببت موجات الطواعين والأمراض المعدية في انخفاض أعداد السكان، وركود الأنشطة الاقتصادية، فتهجر الأراضي، وتتعطل الزراعة وتبور، وتتعطل الصناعات والحرف، وتتوقف أغلب الأنشطة التجارية في المدن، وهجران بعض المراكز الحضرية. (ميدلتون 2023، ص86–90؛ اليازجي ،2011 ،ص62–63؛ الدوسكي 2022، ص123)وتشير الأدلة التاريخية إلى أنه ثمة مدن انهارت بفعل تفشي وباء الطاعون.(ميدلتون 2023،ص287) وقد تحدث ابن خلدون عن الطاعون الجارف الذي ضرب مدن المشرق والمغرب والذي خرب الأمصار واضعف الدول وتحيف الأمم، بقوله:" نزل بالعمران...الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الجيل وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وفل من حدها وأوهن من سلطانها وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أموالها وانتقض عمران الأرض بانتقاض البشر فخربت الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن..."(ابن خلدون 1981، ج1، ص42–43)

كما كان للكوارث الطبيعية المتمثلة بالفيضانات والسيول والزلازل والعواصف أثرٌ لا يُستهان في التدهور الوظيفي الحضرية للمدن ، لما تلحقه من أضرار في الأنشطة الاقتصادية والمؤسسات العمرانية للمدن، إذ تتمثل مخاطرها في النتائج التي تعقبها فغالبا ما يترتب عليها أثار اقتصادية واجتماعية، وثقافية إذ أنها تتسبب بجرف التربة وإتلاف الزروع والبساتين، وانهيار الدور والمؤسسات العمرانية كالمساجد والمدارس والبمارستانات، والأسواق، وردم الأنهار ومشاريع الري، وتدمير الطرق والجسور، وتتسبب بموت المواشي وإتلافها، وانعدام الأقوات، وغلاء الأسعار، والاحتكار، وتعطل التجارة، كما تتسبب بتفشي الأمراض والأوبئة، وتسبب بموت فئات مختلفة من المجتمع ونقص أعداد السكان في المدن، كما تسببت الكوارث الطبيعية بآثار

ثقافية حيث تسببت بموت العلماء، وإتلاف الكتب وتخريب المدارس والمكتبات.(عبد العال 2013، ص211/270–271/276؛ الدوسكي 2022،ص68) بالمجمل فهي تهدد الجموع البشرية في المدن، وتضطرهم الى هجر مدنهم، وترك نشاطاتهم، والتحرك صوب مراكز جديدة للاستقرار الحضري. (ممفورد 2016،ج1، ص171)

ومثّل تغير مجرى الأنهار أحد أهم المتغيرات الطبيعية بالغة الأثر في مصائر المدن ووظائفها، إذ إن الناس اعتمدوا على الأنهار بشكل كبير لممارسة مختلف الأنشطة الاقتصادية، كالزراعة والتجارة، إلا أن هذه الأنهار غير مستقرة ، حيث تتحول جانباً في بعض الأحيان، فتنجرف بالكامل أو جزئياً، وقد تغمرها المياه أحياناً أخرى، وتجف في أحيان أخرى، (Zhuang, 2018p112) وقد أثرت تلك الأحوال وتسببت بهلاك المدن عطشا، ما أشاع تحولا عاما في المعيشة وهجران المدن تدريجيا الى المراكز الحضرية، وقد أدى انقطاع الزراعة وانهيار التجارة، وإتلاف الثقافات، وانعدام السياسة في هذه المدن إلى انحدار الحياة الحضرية، واختفاء العديد من سماتها ومميزاتها، مما تسبب في إخلائها، ومن ثم خرابها.(ميدلتون 2023، ص206–207)وقد سجل الجغرافيون القدماء وصفاً لآلاف المدن في إقليم السند كانت لها أنشطة اقتصادية وتجارية، إلا أنها هجرت بسبب تغير مجرى نهر السند، وانحنائه عنها جانباً. (n.d.vol3.p84. STRABO). كما تحدثت المصادر العربية عن تغيرات مجرى الأنهار وبينت مدى تأثيرها على المدن وأنشطتها، ومن الأمثلة التاريخية البارزة التي تجسد اثر تغير مجرى الأنهار في التدهور الوظيفي للمدن ما أورده البلاذري والذي يعتبر من اقدم المصادر التي تحدثت عن تغير مجاري الأنهار، ويمثل نصه شهادة مبكرة على مدى ضعف المدن أمام التحولات الطبيعية فقد ذكر تغير مجرى نهر دجلة في زمن الفرس وبين آثاره في المدن وأنشطتها، وبين كيف حول هذا المتغير مدن عامرة مزدهرة إلى خرائب، كما بين من خلال سرده للتفاصيل تباين الحكام في تتبع أحوال الأنهار، ومجاري الري، ومعالجة الآثار التي تترتب على تغير مجرى الأنهار.(البلاذري،1988، ص286–287)

ثالثاً: أثر العوامل الطبيعية والبيئية في التحولات الحضرية والوظيفية لمدينة بغداد.

لم تكن مدينة بغداد عبر تاريخها الطويل بعيدة عن التأثيرات الطبيعية والبيئية، بل شكلت العوامل الطبيعية والبيئية إحدى ابرز العوامل التي ساهمت في رسم خارطة بغداد الحضرية ودفعت المدينة نحو النمو والازدهار، إذ إنها كانت في حالة تفاعل مستمر مع المحيط الطبيعي تتكيف معه وتعيد تشكيله بحسب احتياجاتها وتستمد منه مقومات استمراريتها، وديمومتها، وفي الوقت نفسه شكلت المتغيرات البيئية والطبيعية إحدى أهم العوامل التي تسببت بالتدهور الوظيفي والحضري للمدينة.

1. العوامل الطبيعية والبيئية وأثرها في التطور الوظيفي للمدينة:

كان غرض الخليفة المنصور(136–158هـ/753–775م) الأول من بناء مدينة بغداد سنة 145هـ/762م، اتخاذها مركزاً لإقامته ولجنده، تركزت وظيفتها الأولى في تأدية الوظيفة السياسية، والعسكرية،(اليعقوبي، 2001،

ص70) ولم تلبث المدينة طويلاً حتى اتسعت، وبدأت وظائفها تتغير وأنشطتها تتبدل، ولاشك أن هذا التبدل نبع عن جملة من العوامل التي أحاطت بها، إذ تفاعلت المدينة مع العوامل الطبيعية، كالموقع الجغرافي والمناخ الملائم، إضافةً إلى المتغيرات السياسية التي أسهمت في اختيارها عاصمةً للخلافة العباسية ومركزًا للسلطة واتخاذ القرار، مما انعكس أيضًا على ازدهارها، ونمو نشاطها الاقتصادي. (مرايسية ومشيك، 1954، ص 74).

عملت المزايا والظروف الجغرافية والطبيعية والاقتصادية لصالح مدينة بغداد، وقدمت لها إمكانيات التنمية الحضرية، فإذا ما نظرنا في الاطار الجغرافي لمدينة بغداد، نجد انها كانت ملائمة جداً تضم خصالاً تدعم نشاطها الاقتصادي، وتؤهلها لتكون مركزاً حضرياً مهماً، ومركزاً تجارياً وسياسياً وهي الموقع الجغرافي الممتاز لممارسة النشاط التجاري، والتربة الخصبة لممارسة النشاط الزراعي، والمناخ الملائم. فقد اشرف الخليفة المنصور بنفسه على اختيار موقع مدينته، وتخطيطها وتصميمها، بما يتلاءم مع الأغراض التي كان ينشدها، ولم يكن اختياره لموقع مدينته قرارا مرتجلاً من دون دراية أو علم، بل جاء وفق تخطيط مدروس وواعٍ، وتدبير محكم يستند إلى رؤية استراتيجية راعى فيها الجوانب والاعتبارات السياسية والأمنية والجغرافية والاقتصادية. (العلي، 1988،ص23/4) إذ إنه راعى المناخ ووفرة المياه، وطيب الهواء، وسلامته من الأمراض والأوبئة، وصلاحية المدينة للإقامة والسكن، وهو ما يضمن استمرار الإقامة والعيش فيها. فقد سُئل قبل البناء عن طبيعة الموضع وكيف يكون في الحر، والبرد، والأمطار، والوحول، وسائلهم عن البق والهوام، وعن طيب غذائها، فوجه رجال من قبله للمبيت فيها، وتشير الروايات انه بات في الموضع فاستطابه. (الطبري1967،ج7،ص 615–618؛ ابن الفقيه، 1996، ص282)

كما راعى الخليفة المنصور عند اختيار موقع بغداد أن تكون على مقربة من الطرق والممرات التجارية، بحيث تكون على مقربة من نهر دجلة الذي يصلها بالخليج العربي، ومن ثم المحيط الهندي، ثم بالهند، ثم بالصين، ومن الجهة الغربية تتصل بنهر الفرات الذي يصلها ببلاد الشام ومصر وأفريقيا.(سوسة،1963،ج1،،ص272) فقد تنبه الخليفة المنصور لأهمية وقوع مدينته على طرق التجارة بما يضمن لمدينته التموين ووصول المؤن إليها بسلاسة، واستخدام الأنهار في عملية التبادل التجاري ونقل المؤن، وكأنه يحدد من ذلك وظيفة المدينة التجارية ويقررها مسبقاً، ويتضح ذلك بقوله: "هذا موضع ابني فيه، فإنه تأتيه المادة من الفرات ودجلة وجماعة من الأنهار" (الطبري، 1967،ج7،ص616)

كما حرص الخليفة المنصور أن يضم الموقع بعض المزايا الاقتصادية التي تضمن ازدهار المدينة واستمراريتها، وتؤمن لقاطنيها الوفرة الاقتصادية والسهولة التجارية وتجسد ذلك بقوله:" أريد موضعاً يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لي، ولا تغلو عليهم فيه الأسعار، ولا تشتد فيه المئونة، فإني إن أقمت في موضع لا يجلب إليه من البر والبحر شيء غلت الأسعار، وقلت المادة، واشتدت المئونة، وشق ذلك على الناس،..."(الطبري، 1967، ج7، ص615) ويُظهر نص أخر كيف أن موقع بغداد أمن لها استدامة اقتصادية تضمن لها الديمومة والازدهار والتوسع العمراني وجاء ذلك المعنى في قول احد الدهاقين الذي أشار على الخليفة

المنصور عند اختيار الموضع، وبين إن موقعها سيؤمن لها الخيرات، وتوارد الثروات بقوله:" فالذي أرى يا أمير المؤمنين أن تنزل أربعة طساسيج في الجانب الغربي طسوجين وهما قطربل وبادوريا، وفي الجانب الشرقي طسوجين وهما نهر بوق وكلواذى، فأنت تكون بين نخل وقرب الماء، فإن أجدب طســـوج وتأخرت عمارته كان في الطســـوج الآخر العمارات،..."(الطبري،1967، ج7 ص616؛ ابن الفقيه، 1996، ص282–283)

وهكذا شكلت مدينة بغداد مركزاً حضرياً واقتصادياً جاذباً للسكان إذ قصدها الناس من كل حدب وصوب دون ان تتأثر المدينة بأعدادهم الهائلة، فتضيق أرضها أو ترتفع أسعارها، بل كانت على العكس من ذلك بحالة من الاتساع الجغرافي والوفرة الاقتصادية والقدرة العمرانية التي تضمن للجميع العيش فيها من دون أن تتأثر أحوالها، وقد وصف أحد المؤرخين مشهد تدفق الناس الى المدينة بصورة تثير الدهشة والاستغراب، بقوله:" ثم من كان في الجانب الغربي،... ممن لا يحصي عددهم ولا يعلم كنه مددهم إلّا خالقهم، مستجيرين بمدينة السلام... محلا لا تضيق بهم دياره، ولا تمتلئ منهم أقطاره، ولا تغلوا بكثرتهم أسعاره، ولا يتحاكم في أقواتهم تجاره، ولا يعجز عن ميرتهم ممتاره. ولا يحس أهله بالواردين منهم إذا أتوا، ولا الصادرين إذا مضوا..." (ابن الفقيه، 1996، 341–342)

ونظرا لما تتمتع به المدينة من وفرة الموارد وكثرة الخيرات فقد رسمت بعض المصادر للمدينة صورة مثالية في العصر العباسي الأول، واستبعدت وفندت تفنيدا قاطعا أن يموت فيها مريض لنقص دواء، أو يجوع أحد لقلة غذاء، فقد جاء في بعض المحاورات بين المأمون وخاصته ما يؤكد ذلك، ونصه :" ومتى تظن أو ظننت أن عليلا مات أو يموت بمدينة السلام بفقدان دواء معروف، أو بحسرة غذاء لطيف وكثيف، فقد ظننت محالا وأدرت في خلدك باطلا. وكذلك أيضـــا لا يســـتطيع أحد أن يقول إن عليلا أو صـــحيحا تاق إلى الأرطاب...أو إلى الكمأة...، وإلى الخلال...، وإلى البســر في القرّ والطلع في الحر، وإلى النرجس...والقثاء والخيار...، فتعذر وجود ذلك عليه" (ابن الفقيه، 1996، ص350)

وبذلك تكاملت المزايا الطبيعية والاقتصادية مع السياسية، فصنعت من بغداد عاصمة مزدهرة للدولة الإسلامية، أقام فيها 26 خليفة عباسي من اصل 37. ولم تلبث المدينة طويلا حتى غدت من أهم المدن العباسية، بما اولاها الخلفاء من العناية والاهتمام، فعظمت مكانتها، وكثرت عمارتها، فبنيت فيها مئات المساجد والقصور، وأنشئت الأسواق، حتى أصبحت مقصداً للعلماء والأدباء، ومحط نظر الصناع والتجار. (ضيف، د.ت، ص17؛ الكبيسي،1979ص69–70)من مختلف البقاع والأمصار، ونشطت فيها التجارة، وذاعت العلوم والمعارف، حتى غدت من المراكز العلمية والتجارية المرموقة.(العلي، 1988، ص4)

وقد قدم لنا اليعقوبي (ت:292هـ/905م) الذي كان من سكان بغداد والمعاصرين لنهضتها، وممن شهدوا تطورها وواكبوا احداثها عن قرب، سيرة دقيقة وواضحة للمدينة، تعكس صورتها الحقيقية في تلك الحقبة الزاهرة، مبرزاً مكانتها السياسية والعلمية ونشاطها الاقتصادي في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ، فقد أشار في معرض حديثه عن موقع المدينة وطبيعتها وحُسن اختيار العباسيين للخصائص الطبيعية للمدينة، وكيف انعكست تلك المزايا في تطور شخصية قاطنيها وتفوق سكانها في مختلف المجالات العلمية

والثقافية، بقوله:" باعتدال الهواء، وطيب الثرى، وعذوبة الماء حسـنت أخلاق أهلها...، وانفتقت أذهانهم حتى فضـلوا الناس في العلم، ...، والتجارات، والصـناعات، والمكاسـب، والحذق بكل مناظرة، وإحكام كل مهنة، وإتقان كل صناعة،..." . كما كشفت بعض النصوص التي أوردها نظرة إعجاب كبيرة بمدينة بغداد من حيث اتساعها، وتطور عمرانها، ووفرة مواردها، وحسن مناخها، مما يشير إلى أنها حاضرة إسلامية وليس مجرد مدينة عادية بقوله:" المدينة العظمى، التي ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها سعة، وكبرا، وعمارة وكثرة مياه، وصحة وهواء" كما أشار إلى حجم التنوع الاجتماعي والثقافي في المدينة وكيف أصبحت مركز جذب يستقطب الناس من شتى البقاع ومختلف الأمصار حتى فضلها الناس على أوطانهم، وهذا يدل على المكانة المرموقة التي وصلت إليها المدينة في تلك الفترة، وتحسن أحوالها الاقتصادية، والمعاشية، وتوفر الأمن والاستقرار. حتى أصبحت مرتعاً تندمج فيه الشعوب من مختلف أعراقها. ويكمل اليعقوبي الصورة التي رسمها للمدينة ويبين إن المدينة ليست ملتقى للثقافات فحسب بل إنها مركز اقتصادي وتجاري، حيث يشير في نص آخر إلى الحركة التجارية النشـطة القائمة في نهري دجلة والفرات، وتدفق التجارة فيهما من الأنحاء كافة، بقوله:" يجري في حافيتها النهران الأعظمان دجلة والفرات فتأتيها التجارات والمير برا وبحرا ... من المشـرق والمغرب من أرض الإسـلام وغير أرض الإسـلام" كما أفادَ في نص أخر عن تتابع الخلفاء على الإقامة في المدينة، مظهراً بذلك مكانة بغداد بوصفها مستقر للخلفاء، وهو ما يكشف عن الوظيفة السياسية التي تمتعت بها المدينة، ويبين أن وجودهم فيها سـبب من أسـباب نهضـتها وارتقائها. (اليعقوبي، 2001، ص11-35)

ويستنتج مما سبق إن المناخ المثالي الذي يسود في المدن له انعكاسات على المدن وعلى أنشطة من يقيم فيها من السكان، إذ إنها تسهم في إفراز مجتمعات متفوقة في مجالات العلم والأدب والصناعة والتجارة وغيرها من الفنون والعلوم.

ومن المهم أن نقارن هذه الصورة بما آلت إليه أحوالها لاحقًا، حين أصبحت الوظائف السكنية والتجارية عرضة للتدهور، بسبب المتغيرات السياسية والطبيعية والاقتصادية، إذ بدأت المدينة تفقد هذه المزايا تدريجيًا، وظهر فيها التزاحم، وارتفعت الأسعار، وضعفت الخدمات، وضاق العمران عن الاستيعاب.

1- أثر المتغيرات الطبيعية والبيئية في التدهور الوظيفي لمدينة بغداد:

لم يكن في حسبان الخليفة المنصور وإدراكه أن الاعتبارات البيئية والمناخية التي راعاها وانتقاها لمدينته عند اختيار موقعها والتي كانت في بدأ أمرها ميزات حيوية للمدينة مهدت لنهضتها، وتنوع أنشطتها أن تنقلب مع مرور الزمن إلى نقمة تتسبب بتدهور أحوالها، وتبدد وظائفها. إذ شهدت المدينة على امتداد تاريخها، تغيرات طبيعية وبيئية تعاقبت على المدينة، أدت الى اختلال توازنها البيئي، وأسـفرت عن تراجع جودة الحياة في أحياء المدينة. واختلال النشاط الاقتصادي والحضري للمدينة.

أ/ السيول والفيضانات وأثرها التدميري في تدهور وظائف مدينة بغداد:

تشير الدلائل التاريخية أن مدينة بغداد كانت محاطة بعدد من البثوق والتصدعات في مجاري الأنهار، التي سببت العديد من الفيضـــانات التي شـــكلت مظهراً من أخطر المظاهر الطبيعية التي هددت اســـتقرار مدينة بغداد. (Zhuang,2018.p112) ولم تكن الفيضـانات التي أصـابت المدينة حوادث اسـتثنائية أو عابرة، بل شـكّلت نمطًا متكررًا من الكوارث الطبيعية التي أسـهمت في إرباك نظام الحياة الحضـرية للمدينة، وتعطيل وظائفها الأسـاسـية. وقد كشفت الدراسات التاريخية أن بغداد، خلال العصر العباسي، تعرّضت لما لا يقل عن تسعة وعشرين فيضـانًا، من نهري دجلة والفرات، منها ستة فيضانات خلال العصر العباسي الأول (132–232هـ/750–847م) مرت بسلام دون تضـرر المدينة، ومنذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي بدأ الوضـع يتغير تدريجياً، وأخذت أثار الفيضـانات تزداد سـوءاً، فقد تتابعت السـيول خلال الحقبة العباسـية اللاحقة (232–656هـ/847–1258م)، وكان من أخطرها واشـدها تأثيراً ما وقع في العصـر العباسـي الأخير، الأمر الذي يدلّ على تصـاعد حدة التحولات في الأنهار وتنامي أثرها المدمر.(سوسة، 1963، ج1،ص340–341 الحربي،2024،ص 2289)

تركت هذه البثوق والفيضـــانات التي طغت على مدينة بغداد لعدة قرون، آثار كبيرة في بنية المدينة الحضـــرية والعمرانية، وكان لها تداعيات اقتصـادية واجتماعية، وعلمية. حيث تسـببت بغرق بغداد، وغرق الناس، وانهدمت آلاف الدور، كما تسـببت بتدمير الكثير من المؤسـسـات العلمية، ودور العلم، والمنشـآت العمرانية، كالقصـور، والأسـواق، والمسـاجد، والجوامع، والمارسـتانات، والمدارس، والمكتبات، والربط، وتسـببت بموت العلماء وطلبة العلم، كما تسـببت بهجرة العلمـاء إلى المنـاطق المجـاورة، وكـان لهـا آثـار في النواحي الاجتمـاعيـة والاقتصـــــاديـة والعلمية.(مسكويه،2002،ح6،ص39؛ الذهبي 1993،ج24،ص54؛ سبط ابن الجوزي، 2013،ج17،ص158)

ولا يسـعنا في هذا المجال الضـيّق اسـتعراض الفيضـانات التي شـهدتها مدينة بغداد جميعها وبيان آثارها المختلفة، لذا سـنكتفي بذكر بعض النماذج التي تُعدّ من أبرز وأشـد ما شـهدته المدينة، لِما لها من أثر بالغ ودلالة واضـــحة في الأثر التدميري للفيضـــانات في التدهور الحضـــري والوظيفي لمدينة. ومن بين هذه الفيضـانات يذكر فيضـان سـنة (614هـ/1217م) الذي كان عنيفاً، وقد بين سـبط ابن الجوزي أثاره التدميرية ونكبته لبغداد بقوله:" وانهدمت بغدادُ بأَسْـرها والمحالّ، ووصـل الماء إلى رأس السُّـور،...وبقيت بغداد من الجانبين، تلولًا لا أثر لها "(سبط ابن الجوزي، 2013، ج22، ص216)

كما يذكر فيضـان سـنة (654هـ/1256م) على أنه أحد افظع واعنف موجات الغرق التي عرفتها بغداد عبر تاريخها، وقد صفه لنا ابن الفوطي مبينا اثاره المدمرة بقوله:" وغرق الجانبين منها، وهدم دوراً كثيرة ...وامتلأت أسـواق الجانب الشـرقي، وخرج الماء من حيطان الدور والمنافذ...، وتعذر الوصـول إلى دار الخليفة إلا في سـفينة أو سـباحة،...، وتلف من الناس شـيء كثير،... وخلت ... معظم محال بغداد من سـاكن،...وخلت الديار وتعفت الآثار وصـــار في النظر إليها اعتبار..."(ابن الفوطي، 2003، ص227–228) كما بين

فضـل الله الهمذاني ما ترتب عليه من أثار اقتصـادية سـيئة بقوله: " وكان من نتيجة ذلك، أن بقيت نصـف أراضي العراق خرابا يبابا" (الهمذاني، د.ت، ج2، ص262)

ب/تغير مجرى نهر دجلة وأثره في التدهور الوظيفي للمدينة:

شكل تغير مجرى نهر دجلة أحد ابرز المتغيرات الطبيعية التي انعكست سلبا على أنشطة المدينة، واخل بتوازنها، إذ افضى هذا التغير إلى جفاف في الكثير من المناطق التابعة لبغداد. ، كما ترتب على هذا التحوّل تغيّر في نظام توزيع المياه، وحدوث خلل في شـبكة الري، إلى جانب تزايد نشـاط الفيضـانات والبثوق في أطراف متعددة من المدينة، مما أسهم بصورة مباشرة في إضعاف أنشطتها الاقتصادية، وقد بدأت ملامح هذا التغير بالظهور منذ القرن الرابع الهجري/العاشـر الميلادي(سـوسـة، 1949، ج2،ص491) كما يُفهم من وصف المسعودي (ت:346هـ/957م)، الذي أشار في نصٍ صريح إلى ابتعاد مجرى النهر عن مواضع معروفة في الجانب الشرقي من بغداد مثل "رقة الشماسية"، وانجراف الماء بأراضٍ في الجانب الغربي، وتقديره بأن النهر يبتعد ميلاً واحداً كل مئتي سـنة، مما يؤدي إلى تخريب مواضـع وعمران أخرى. وهذا النص يُعدّ دليلاً على بداية التحول التدريجي في مجرى النهر وتأثيره في توزيع العمران في المدينة.(المسـعودي 2005، ج1،ص81–82)

كما ترتب على هذا التحوّلات تغيّر في نظام توزيع المياه، وحدوث خلل في شبكة الري، مما أسهم بصورة مباشرة في إضعاف أنشطتها الاقتصادية. فتحولت الكثير من المروج الخضراء إلى أراضي قاحلة منعدمة فيها الزراعة، ولا تتوفر فيها إمكانية العيش، فهجرها أهلها، حتى عدا عليها الخراب ومن أمثلة ذلك (طسج قطربل) شمال بغداد الذي كان يضم الكثير من البلدات والقرى، التي كانت مشهورة بزراعتها وكثرة ثمارها، فلما تغير عنها نهر دجلة هجرت وخربت. (ابن الفقيه،1996، 2ص283؛ سوسة 1949، ج2،ص491؛ الدوسكي 2022،ص341) وكورة النهروان، الكورة الواسعة في الجانب الشرقي من بغداد الممتدة بين واسط وبغداد، التي كانت من اجمل نواحي بغداد وأكثرها دخلاً واحسنها منظراً، والتي خرج منها مجموعة كبيرة من أهل العلم والأدب، التي كانت تضـم نهر النهروان الذي انقطع الماء عنه مع تغير مجرى نهر دجلة، ومع خراب النهر خربت عدداً كبيراً من المدن والقرى المحاذية له فجلى عنها أهلها وهجروها حتى أصـبحت تلالاً يراها الناس، ولم يبقَ منها شاخصٌ غير حيطانها، واستمر خراب النهر قائما فلم يشرع احد من الخلفاء او السلاطين في تجديده فهجر الألوف من الناس ، وأهملت الزراعة، وتعطلت التجار، واجدبت المنطقة.(الحموي،1993، ج5،ص324–327؛ سوسة، 1949، ج2، ص504/495) ومن ذلك محلة باب الشعير التي تقع في الجانب الشرقي لبغداد، وكانت مرفأ للسفن التجارية الوافدة من الموصل والبصرة، إلا أنها تضررت كثيراً من تحول نهر دجلة عنها واصبح بينها وبين دجلة كثير من الخراب. ومن ذلك أيضاً ناحية إسْكَاف بني الجنيد التي كانت تزخر بالعلم والعلماء، وخرج منها طائفة كثيرة من أعيان العلماء والكتاب والعمال والمحدثين وكانت تنتعش بأنشـطتها الاقتصـادية إلا أنها خربت بفعل تغير مجرى النهر عنها(الحموي، 1993،ج1،

ص308/181)كما تذكر جَرْجَرَايا التي هي من أعمال النهروان الأسفل والتي خرج منها جماعة من العلماء والشعراء والكتاب والوزراء والتي خربت مع ما خرب من النهروانات. (الحموي، 1993،ج2، ص123) وكذلك الحال مع قرية بَنَارِقُ الواقعة بين بغداد والنعمانية التي خرابها الاضطرابات السياسية، وكثرة البثوق وفساد الأنهار في نهاية العصر السلجوقي. ومما يندرج ضمن المناطق التي تضررت من تغير مجرى نهر دجلة بلدة البَنْدَنِيجَينِ المشهورة الواقعة في طرف النهروان من أعمال بغداد، التي كانت تضم عدة محال متفرقة ذات أنشطة اقتصادية وعلمية، والتي خرج منها أعداد كبيرة من العلماء والمحدثين والشعراء والفقهاء والكتاب. لكنها لحقت بمصير باقي كُوَر النهروان التي خربت نتيجة انسداد الأنهار وإهمال إصلاحها. (الحموي، 1993،ج1، ص499/496) ومن بين المواضع التي تأثرت وخربت بفعل البثوق طسج تَامَوَّا في الجانب الشرقي من بغداد. وقرية حَوْلايا التي كانت بنواحي النهروان. ودير العاقُولِ الذي كان عامرا على شاطئ دجلة، واصبح بينه وبين دجلة بعد تغير المجرى مسافة ميل حتى اصبح بمفرده بوسط البرية. ودير قُنَّى الذي كان عامراً مزدهراً في الجانب الشرقي من بغداد ومعدود في أعمال النهروان، والذي ينسب إليه أعداد كبيرة من أهل العلم، فخرب بخراب النهروان ولم يبقَ منه غير سوره. (الحموي، 1993،ج2، ص528/520/322) وكذلك الحال مع بلدة الصّافيَةُ التابعة لبغداد والتي خرج منها جماعة من الكتاب الأعيان أصحاب الدواوين، وكانت على مشارف نهر دجلة إلا أنها خربت مع خراب النهروان، ولم يبقَ منها إلا آثارها. وكذلك بلدة عَبَرْتا: التي كانت من نواحي النهروان، وخربت مع خرابه. (الحموي، 1993،ج3، ص499/389، ج4، ص449) وقد وثقت عدد من المصادر أسماء بلدات أخرى تضررت فعليًا نتيجة تغير مجرى نهر دجلة عنها وعمها الخراب منها: أوانا، وصَريفُون، وعُكْبَرا، والعِلْث، وغيرها الكثير مما لا يسع المجال لذكره.(القطيعي، 1992، ج2، ص956/953/839.)

ويمكن الاستنتاج من الشهادات التي ادلى بها الحموي أن المدن والبلدات ترتبط في انتعاشها وارتكاسها، بازدهار الأنهار، فما أن خرب نهر النهروان حتى تلاشت المدن وتلاشت معها الوظائف الاقتصادية والثقافية التي كانت هذه النواحي تؤديها للمدينة.

جـ- المتغيرات المناخية والبيئية وأثرها في التدهور الوظيفي للمدينة:

شكلت الاعتبارات البيئية والمناخية التي راعاها وانتقاها الخليقة المنصور لمدينته عند اختيار موقعها ميزات حيوية مهدت لنهضتها، في بدأ أمرها. إلا أنها انقلبت مع مرور الزمن إلى نقمة تسببت بتدهور أحوالها، وتبدد أنشطتها. إذ شهدت المدينة تغيرات مناخية وبيئية حادة تعاقبت على المدينة، أدت إلى اختلال توازنها البيئي، تمثّلت في عواصف شديدة، وأمطار غزيرة، وبَرَدٍ مدمّر، ورياح عاتية، وأمراض وأوبئة حادة، ضربت المدينة في فترات مختلفة، نجم عنها تهدم المباني، وخراب المزروعات، وتراجع جودة الحياة في أحياء المدينة. واختلال النشاط الاقتصادي والحضري للمدينة. وقد القت بظلالها على استقرار السكان، ونمط استغلال الأرض واحدث اختلالاً في التوازن الوظيفي في المدينة. وتشهد الروايات التاريخية على تعرض

بغداد لموجات كبيرة من البرد والمطر والجفاف، وتفشي الأمراض والأوبئة التي ألحقت أضراراً كبيرة بالنشاط الزراعي، وآثاراً كبيرة على الحياة الاقتصـــادية حيث إنها عرقلت عجلة الإنتاج الزراعي، وأدت إلى ارتفاع الأسعار، ونشوء الأزمات، كما أسفرت عن موت أعداد كبيرة من البشر، واضطرار قسم كبير للهجرة إلى المناطق الأمنة، وهذا يعني إهدار القوى البشـــرية المنتجة العاملة في الزراعة، والصـــناعة، والتجارة، ولذلك انعكاسات خطيرة على الأوضاع الاقتصادية. (اليازجي، 2011، ص23–62)

تأتي في مقدمة هذه المتغيرات موجات البرد والمطر والجفاف المتكررة والخارجة عن المعتاد التي توالت على المدينة، والتي تسببت بإتلاف الكثير من الزروع والنخيل في سواد بغداد، وعطلت قنوات الري، وأدت إلى اختلال التوازن البيئي، وخلقت أجواء غير صحية في بغداد، وهيأت الأجواء لانتشار الأمراض والأوبئة، ففي سنة (308هـ/920م) ضرب البرد بغداد واتلف الكثير من النخيل والزروع في سوادها. كما ضرب المدينة موجة برد شديدة في سنة (314هـ/926م) أدت إلى تجمد نهري دجلة والفرات وإتلاف الكثير من نخيل بغداد وأشجارها وزروعها، حتى جف سواد بغداد بالكامل. وفي سنة (332هـ/943م) زاد سقوط الأمطار في بغداد زيادة مسرفة حتى خرب الكثير من المنازل، ومات كثير من الخلق تحت الهدم، وتهدمت المساجد والحمامات والأســواق. وفي ســنة (378هـ/988م) ثارت في بغداد رياح وعواصــف وأمطار قوية أدت إلى هدم بعض المساجد، وغرقت كثير من السفن الكبيرة المحملة بالأمتعة. وتلتها في سنة (389هـ/920م) موجة برد شديد ورياح عاتية أهلكت الألوف من نخيل سواد بغداد، ولم ترجع أوضاع الزراعة إلى أحوالها إلا بعد سنين طويلة. وتواصلت التأثيرات السلبية للمتغيرات المناخية حيث تعرضت المدينة سنة 402هـ/1011م لعواصف ورياح شديدة، أدت إلى اقتلاع أكثر من عشرة آلاف نخلة. وفي سنة (417هـ/1011م) تعطلت الزراعة في سواد بغداد بسبب البرد الشديد وتجمد مياه دجلة والفرات. ثم تلاه سنة (418هـ/1027م) موجة برد عنيفة انتابت بغداد أهلكت كثيراً من الزروع والثمار وقتل على إثرها كثير من الخلق وهلكت المواشـــي والأغنام. وجاءت موجة أخرى شديدة من البرد سنة (419هـ/1028م) تجمدت على إثرها حافات الأنهار، وتسببت في هلاك عشرات الألوف من النخيل في سواد بغداد. وفي سنة 423هـ ضرب بغداد موجة برد شديدة أدت إلى تجمد حافات الأنهار، فأجدبت الأرض وهلكت المواشي، وأتلفت كميات كبيرة من الثمار والزروع في ضواحي بغداد. وفي سنة (441هـ/1049م) ضربت العواصف العاتية بغداد وأدت إلى قلع الكثير من الدور، وسقوط الكثير من أشـــجار النخيل. وفي ســـنة (443هـ/1032م) عصـــفت ريح قوية في بغداد تخللها أمطار كثيرة، قلعت الكثير من الدور والمحال الشـــاطئية، منها دار الخليفة ودار المملكة، و وأوقعت الجســـور والطيارات وأغرقت العديد من السفن والسميرات المحملة بالغلات والتمر السائرة في نهر دجلة، وتضررت الكثير من الأسواق والدور، وانقلع الكثير من الشجر والنخل وأتلفت الغلات والزروع. وفي سنة (450هـ/1058م) ارتفعت موجة البرد في بغداد حتى أهلكت الكثير من الغلات وأتلفت الزروع، وتعطلت الأعمال. إلى جانب ذلك عانت بغداد من متغيرات ذات أنماط معاكســـة، حيث عانت المدينة من فترات جفاف شـــديدة، ففي الســـنوات

(422هـ/1031م)(423هـ/1032م) حبسـت الأمطار وقلت الزراعة لقلة الماء، فغلت الأسـعار وانتشـرت الأمراض والأوبئة وكثر الموت ولم تخلُ دار من مصـيبة. وفي سـنة (512هـ/1118م) انقطع المطر في بغداد، وانعدمت المؤن والأقوات، وغلت الأسعار غلاءً شديداً في بغداد، وكثر النهب والسلب نهارا جهارا من المحال والدور والأسـواق. وفي سـنة (541هـ/1146م) انحبس المطر وغارت المياه في الأنهار والآبار، وأشـرفت المواشـي على الهلاك، وانتشـرت الأمراض والأوبئة، فمات كثير من الخلق. (ابن الجوزي، 1992، ج13،ص256/194، ج14ص239/114/98/34؛ ابـن الأثـير، 1997،ج8،ص634/؛ ابـن كـثـيـر، 1997،ج702/700/697/642/615/15، ج16ص51)

وقد شـهدت المدينة موجات متكررة من الأمراض والأوبئة التي كانت نتاج المتغيرات البيئية والمناخية، وشكلت أحد ابرز التحديات البيئية التي واجهت المدينة، وخلفت أثاراً عميقة في النسيج الاجتماعي والحضري والوظيفي للمدينة، وهناك إشـارات تاريخية للكثير من موجات الطاعون والجدري بشـكل يجعله يتجاوز كونه ظاهرة عابرة، ويؤشـر لكونه خللاً بيئياً عميقاً انتاب المدينة، سـجلت أولى موجات الوباء في القرن الرابع الهجري/العاشـر الميلادي في السـنوات: (300هـ/912م) و(301هـ/913م)، ثم تلاه في السـنوات: (344هـ/955م)، (350هـ/961م)، (376هـ/986م) وتسببت بموات الكثير من الناس وأغلقت على إثرها المحال والأسـواق. وفي القرن الخامس الهجري/الحادي عشـر الميلادي تواترت موجات المرض والوباء وأصـبحت أكثر حدة وتأثيراً، إذ تشـير المصـادر إلى وقوع موجات متتابعة من الأوبئة في السـنوات: (422هـ/1031م)، (423هـ/1032م)، (425هـ/1034م) (437هـ/1045م)، و(438هـ/1046م)، و(439هـ/1047م)، ثم توالت الأزمات الصحية المميتة في بغداد، ويُعد وباء سنة (446هـ/1054م) أحد اخطر وأشد الأوبئة التي ضربت بغداد الذي استمر سنوات ومات بسببه كثير من الخلق، وتسبب في غلاء الأسـعار، وتعطل الزراعة وموت العلماء، وخربت على إثره المدن. (الطبري، 1967؛ ابن الجوزي، 1992؛ ابن كثير، 1997) وقد وصـف أثاره المدمرة ابن أبي أصـيبعة بما نقله عن ابن بطلان قوله:" من مشـاهير الأوباء في زماننا الذي عرض...من سـنة سـت وأربعين وأربعمائة..... انتقل الوباء إلى العراق فأتى على أكثر أهله واسـتولى عليه الخراب ... وكثرت الحروب والغلاء والوباء...وهو الأوباء العظيمة العارضـة للعلم بفقد العلماء في زمانه ..." (ابن أبي اصـيبعة، د.ت، ص326–328) ومن المشـاهد اللافتة التي سـجلت في وباء سـنة (448هـ/1056) والتي تجسـد واقع الانحدار السـكاني والاجتماعي في المدينة ما جاء به ابن الجوزي إذ يشـير في نص الى أن عدد الحاضـرين في مجلس عزاء اخت الخليفة القائم بأمر الله، لا يتجاوز الأربعين شـخصـاً، وذلـك :" لخلو البلـد، وانقراض النـاس بـالموت والفقر" بحسـب تعبيره.(ابن الجوزي،1992،ج16،ص11)

وتلت هذه الموجة موجات جديدة في السنوات (455هـ/1063م) و(456هـ/1064م). عندما اشتد وباء الجدري وقتل الكثير من الخلق. كما اسـتمرت المعاناة في العقود التالية، مع ظهور الأمراض في سـنة

(468هـ/1075م)، ثم (469هـ/1076م)، و(478هـ/1085م)، و(479هـ/1086م)، التي كثر معها الموت وفرار الناس من بغداد حتى بقيت الغلات بحالها في الصـــحاري لانعدام من يرفعها. ولم تكن موجات الأوبئة التي أصـابت المدينة محدودة النطاق، بل إنها امتدت إلى محال المدينة وأسـواقها، وأسـفرت عن موت ألوف من أهل بغداد فنقص السكان وتعطلت الأنشطة الاقتصادية، وأصاب الناس الهلع فهجروا بغداد إلى مدن خرى أكثر أمـاناً واطمئنـاناً لحفظ انفســـهم وأهليهم. (الطبري، 1967؛ ابن الجوزي، 1992؛ ابن كثير، 1997) وتظهر بعض الوقائع التي حدثت سنة (469هـــ/1076م)، أن الأزمة الصحية التي تعرض لها الخليفة القائم بأمر الله عند أصـــابته بالوباء، كانت كافية لإرباك ســكان المدينة بأكملها، وهلعهم وانزعاجهم، وحملهم على الانتقال بأموالهم ومتاعهم إلى الجانب الغربي من بغداد. (ابن الجوزي، 1992) وشهد القرن السادس الهجري عدد من الأمراض والأوبئة في السنوات (512هـ/1118م) (541هـ/1146م) (561هـ/1166م) التي كانت شـــديدة الوطأة على المدينة من حيث أعداد الوفيات، وشـــدة آثارها الاقتصـــادية والاجتماعية، إذ ترافق معها موجات جفاف شـديدة، انعدمت على إثرها الأقوات وغلت الأسـعار، وكثر السـلب والنهب، وتفشـى الموت، وهلكت المواشي. (ابن الأثير، 1997؛ ابن الجوزي، 1992؛ ابن كثير، 1997)

إلى جانب المتغيرات المناخية والصـحية التي انتابت بغداد، شـهدت المدينة العديد من الزلازل التي تركت أثرًا بالغًا في وظائف المدينة الحضرية، إذ تسببت بهدم الأبنية العامة، وتعطيل النشاط الاقتصادي، ونزوح الناس. ومن أبرز هذه الزلازل ما وقع في السنوات: (487هـ/1094م)، (511هـ/1117م)، و (524هـ/1129م) (ابن الأثير، 1997؛ ابن الجوزي، 1992؛ ابن كثير، 1997)

د/رصد مسار التدهور الحضري والوظيفي للمدينة من خلال الكتابات التاريخية:

نالت مدينة بغداد عبر قرون طويلة مكانة عظيمة في التاريخ كعاصـمة للحضـارة العربية الإسـلامية، وشكلت مركزاً حضـرياً اتسم بتنوع وتعدد الوظائف والأدوار السـياسـية والإدارية والاقتصـادية والثقافية لفترات طويلة. إلا أن أحوال المدينة لم تستقم على حالة واحدة، والصورة البهية التي رسمها اليعقوبي في القرن الثالث الهجري/التاســـع الميلادي قد تبدلت، حيث ســـجلت لنا كثير من كتب الرحلة والتاريخ في القرون اللاحقة مؤشـرات يتضـح من خلالها التراجع والتدني الذي أصـاب المدينة، حيث شـهدت عبر مرور الزمن تحولات وتقلبات تدريجية أفضت بالمدينة في بعض الفترات إلى حالة من التدهور والانكماش.

فقد أشـار ابن حوقل (367هـ/977م) إلى مفارقة مؤلمة بين ماضـي المدينة الزاهر وواقعها السـيء في عهده، وعكس طبيعة التحولات والتغيرات في بنية المدينة الحضـرية التي نمت وازدهرت بتغير مراكز السـلطة السياسية وتبدلها في العصر العباسي الأول، ثم يتبع ذلك تصوير لحالة التدهور والخراب الذي انتاب المدينة بعد مرحلة عزها ومجدها، حيث تحدث ابن حوقل عن الأماكن التي كانت عامرة مزدهرة ثم انتابها الخراب مشـيراً إلى انتعاش الحياة الاقتصـادية في مواضـع محدودة من المدينة، وقد عبر عن ذلك بقوله: " فلمّا ملكها المهدي جعل معســكره في الجانب الشــرقي...وتزايد بالناس والبنيان وكثرت عمارتهم... والآن فقد خرب ذلك

المكان ولم يبق معمور غير الجامع ومقابر قريش... فقد اختلّ أيضـا من الجانبين جميعا نحو خمسـة أميال ونقص وهلك منه الكثير وأعمر بقعة بها اليوم الكرخ،..."(ابن حوقل، 1983، ج1، ص240)

وتعكس النصـوص التي أوردها المقدسـي (ت:380هـ/990م) حالة التدهور والاضـمحلال الحاد الذي وصـلت إليه المدينة في القرن الرابع الهجري/العاشـر الميلادي بعد أن كانت من اعظم مدن الإسـلام في العصـور السـابقة، مشـيراً إلى اختلال النظام الحضـري في المدينة، واضـطراب تنظيمها، وفقدان توازنها الاجتماعي والاقتصـادي، معرباً عن خيبة امله فيما أصـابها حتى انه عدها من الأماكن غير المحبذة للإقامة والاستيطان، بقوله:" واعلم ان بغداد كانت جليلة في القديم وقد تداعت الآن إلى الخراب واختلّت وذهب بهاؤها ولم استطبها ولا أعجبت بها...كانت أحسن شيء للمسلمين واجلّ بلد... فاختلّت وخفّ أهلها... وهي في كلّ يوم الى ورا، وأخشى انّها تعود كسامرّا،..."(المقدسي، 1991، ص119/36-120) .

ويقدم لنا هلال بن المحسـن الصـابئ(ت:448هـ/1056م) شـهادة تاريخية حية ووصـفاً دقيقاً صـادقاً للأحوال التي آلت إليها مدينة السلام، خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ويعكس بوضوح حجم الدمار والخراب الذي طال أماكن مهمة في بغداد كانت مراكز للأنشطة الاقتصادية والتجارية، ويجسد حجم الانهيار الحضري الذي لحق بالمدينة، بقوله:" عبرت إلى الجانب الشرقي من مدينة السلام بعد الأحداث الطارئة فرأيت ... في دواخل ذلك ورواضـعه قد خرب خرابا فاحشـا، ولم يترك النقض فيه جدارا قائما- ولا مسجدا باقيا، وأما ما بين باب البصرة والعتابين والخلد وشارع الرقيق من الجانب الغربي فقد اندرس اندراسا كليا..."(ابن الجوزي، 1992، ج8، ص82-83)

وأشـار ابن الجوزي (ت:597هـ/1200م) وهو من سـكانها وقاطنيها في القرن السـادس الهجري/الثاني عشر الميلادي إلى أن بغداد قد فقدت مكانتها التي تبوأتها في الماضي يوم أن كانت مركزاً سياسياً، وثقافياً، واقتصادياً. ثم يشخص التحول الكبير الذي أصاب المدينة بعد عهد الازدهار، التي تسببت في هجرة سكانها سواء من العلماء أو المزارعين أو التجار، وانعكس سلبا على نشاطاتها، وقد عبر عن ذلك بقوله:" وقد اتفق الناس أن بغداد لا نظير لها، وأحسـن ما كانت في أيام الرشـيد، فحدثت بها الفتن، وتتابعت المحن، وانتقل قطانها...". (ابن الجوزي، 1992، ج8، ص82)

وقدم لنا ابن جبير (ت:614هـ/1217م) في رحلته الشـهيرة الى بغداد سـنة 578هـ مشـاهدات تعكس صـورة سـوداوية للمدينة، وتصـف حالة الانحدار الحضـاري لحاضـرة الخلافة العباسـية بقوله:" هذه المدينة العتيقة، وان لم تزل حضرة الخلافة العباسية،...، قد ذهب أكثر رسمها، ولم يبق منها الا شهير اسمها. وهي بالإضـافة الى ما كانت عليه قبل إنحاء الحوادث عليها والتفات أعين النوائب اليها كالطلل الدارس، والأثر الطامس، أو تمثال الخيال الشاخص، فلا حسن فيها يستوقف البصر ويستدعي من المستوفز العقلة والنظر الا دجلتها التي هي بين شرقيها وغربيها..."(ابن جبير، د.ت، ص173-184)

وهكذا يتضـح لنا أن الشـهادات والمعاينات والكتابات التي ادلى بها الرحالة والمؤرخون عن المدينة تنبأ عن مسـار حضـري متقلب، تأرجحت المدينة خلاله بين فترات نمو وازدهار، ومراحل تداعٍ وانهيار بصـورة تدريجية منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وصولاً إلى القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. ويتبين أن هذه التحولات والتبدلات لم تكن عارضـة بلا أسباب أو ناشئة عن صـدفة، بل نتجت بصـورة مباشرة عن جملة من العوامل السياسية والاقتصادية والطبيعية طالت بنية المدينة الحضرية وأثرت في أنشطتها ووظائفها بصورة إيجابية دفعتها نحو الرقي والازدهار. ثم فرضـت هذه العوامل حضـورها بقوة لتؤثر سـلباً على المدينة، حينما اختلت وفقدت توازنها لتُبدي ملامح الانحدار وتُعجل في التراجع الحضاري للمدينة، وتعمل على تبديد أنشطتها ووظائفها.

النتائج

تمخض عن هذه الدراسة جملة من النتائج نجملها على النحو الآتي:

1- اتضـح من مجمل ما تقدم أن العوامل الطبيعية والبيئية أدت دوراً أسـاسـياً في تشـكيل الوظائف الحضـرية للمدن الإســـلامية ولاســـيما مدينة بغداد إذ إن تكامل الموقع الجغرافي، والمناخ، والتربة، ووفرة المياه، ساهمت بعمق كعوامل بنيوية في رسم وتشكيل الوظائف الحضرية والاقتصادية والاجتماعية لمدينة بغداد، وكان لها دور بحالة الازدهار التي عاشتها المدينة. الى جانب العوامل السياسية والبشرية.

2- إن إغفال المعايير الطبيعية والبيئية عند تخطيط المدينة، او اختلالها وتعرض المدينة لتحولات بيئية قاسـية؛ يؤدي إلى نتائج عكسـية على المدن، فيهجرها السـكان، وتتعطل أنشـطتها الاقتصـادية ومن ثَمَّ تتدهور وظائفها الحضـرية. وليسـت مدينة بغداد عن ذلك ببعيد إذ أن اختلال معايرها الطبيعية والبيئية، المتمثلة بتغير مجرى نهر دجلة بعيدا عن المدينة، وزيادة حدة السـيول والفيضـانات، الى جانب التغيرات المناخية المتمثلة بالعواصف الشديدة، والأمطار الغزيرة، والبرد المدمر، والرياح العاتية، والأمراض والأوبئة الحادة القى بظلاله على استقرار السكان، ونمط استغلال الأرض، والوضـع الاقتصـادي واحدث اختلالاً في التوازن الوظيفي في المدينة.

3- وقد توصلت الدراسة إلى أن المعايير الطبيعية والبيئية تفاعلت مع العوامل السياسية والبشرية فزادت حدة التدهور والانحلال. ومن ثَمَّ فإن فهم التحولات في وظائف بغداد لا يمكن أن يكتمل وتتضـــح معالمه دون اســـتحضـــار المعايير البيئية والطبيعية بوصـــفها قوة ضـــاغطة توازي في التأثير قوة العوامل التاريخية والسياسية، لا بل أنها تتشابك وتتشارك معها في صنع مصير المدينة والتأثير في وظائفها الحضرية.

قائمة المصادر والمراجع :

- ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري. (1997) .*الكامل في التاريخ* (تحقيق عمر عبد السلام تدمري، (ط. 1). بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن الأزرق، محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي(د.ت). *بدائع السلك في طبائع الملك* (تحقيق: علي سامي النشار) (ط 1). العراق: وزارة الإعلام.
- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي. (د.ت). عيون الأنباء في طبقات الأطباء (تحقيق نزار رضا (ط1). بيروت: دار مكتبة الحياة.
- البَلاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود. (1988). *فتوح البلدان*.بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي. (د.ت). رحلة ابن جبير. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. (1992). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا)(ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الحربي، خالد بن خضير بن عليان .(2024). فيضانات نهري دجلة والفرات وأثرها على الحياة العامة في العراق خلال العصر العباسي 132هـ–656هـ: دراسة تاريخية .*مجلة المعهد العالي للدراسات النوعية*، 4(7)، يناير.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي .(1995) .معجم *البلدان* (ط2). بيروت: دار صادر.
- ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي. (1983). صورة الأرض. بيروت: دار صادر (أفست ليدن).
- الخطيب، عبد الرحمن يونس. (2014). المياه في حضارة وادي الرافدين (ط1). بغداد: بيت الحكمة.
- ابن خلدون، عبد الرحمن. (1981) .*العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر* (ضبط: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار) (ط 1). بيروت: دار الفكر.
- الدوسكي ، إدريس محمد حسن أحمد. (2022). عوامل خراب واضمحلال المدن في المشرق الإسلامي من القرن (3–7هـ / 9–13م) (ط1). دمشق: تموز ديموزي للطباعة والنشر.
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. (1993). *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام* (تحقيق عمر عبد السلام التدمري). بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن أبي الربيع، شهاب الدين أحمد. (1996) *سلوك المالك في تدبير الممالك* .دمشق: دار كنانة للطباعة والنشر والتوزيع.

- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله. (2013). مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (تحقيق محمد بركات وآخرين)(ط1). دمشق: دار الرسالة العالمية.
- سوسة، أحمد، (1949) *ري سامراء في عهد الخلافة العباسية* (ط. 1). بغداد: مطبعة المعارف.
- سوسة، أحمد،(1963م) فيضانات بغداد في التاريخ، (ط2) بغداد: مطبعة الأديب البغدادية.
- ضيف، شوقي (د.ت) *العصر العباسي الأول* (ط8). القاهرة: دار المعارف.
- الطبري، محمد بن جرير. (1967). تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك. ويليه: صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، وتكملة تاريخ الطبري لمحمد بن عبد الملك الهمذاني، والمنتخب من كتاب ذيل المذيل لمحمد بن جرير الطبري (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم). مصر: دار المعارف.
- عبد العال، طه حسين، (2013). الكوارث الطبيعية في بلاد العراق وفارس في العصرين البويهي والسلجوقي. القاهرة: دار الآفاق العربية.
- عثمان، محمد عبد الستار .(1988) .*المدينة الإسلامية* .الكويت: عالم المعرفة.
- عطوي، عبد الله، (1996) .*الجغرافية البشرية: صراع الإنسان مع البيئة* (ط1). بيروت: دار النهضة العربية.
- العلي، صالح أحمد. (1988). معالم بغداد الإدارية والعمرانية. بغداد: دار الشؤون الثقافية.
- العلي، صالح أحمد. (2003). الكوفة وأهلها في صدر الإسلام: دراسة في أحوالها العمرانية وسكانها وتنظيماتهم (ط. 1). بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر.
- ابن الفقيه، أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني .(1996) .*البلدان* (تحقيق يوسف الهادي)(ط 1). بيروت: عالم الكتب.
- ابن الفوطي. (2003). الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة (تحقيق مهدي النجم) (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.
- القطيعي، عبد المؤمن بن عبد الحق. (1992). مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (ط1). بيروت: دار الجيل.
- الكبيسي، حمدان عبد المجيد .(1979) .*أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي* .العراق: منشورات وزارة الثقافة والفنون.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1997). البداية والنهاية (تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي) (ط1). د.م: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري .(د.ت) *تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك* (تحقيق: محي هلال السرحان، حسن الساعاتي). بيروت: دار النهضة العربية.

- محمد، عمر محمد علي، (2016). *جغرافية المدن بين الدراسة المنهجية والمعاصرة* (تقديم أحمد حسن إبراهيم، ط1). الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر.
- مرايسية، سهى سلسبيل، ومشيك، غدير. (1954). مدينة بغداد ودورها السياسي والحضاري خلال العصر العباسي الأول (132–232هـ / 750–847م) (رسالة ماجستير غير منشورة). الجزائر: جامعة 8 ماي.
- المسعودي، علي بن الحسين بن علي. (2005). مروج الذهب ومعادن الجوهر (اعتنى به وراجعه: كمال حسن مرعي) (ط1). بيروت: المكتبة العصرية.
- المسعودي، علي بن الحسين بن علي. (د.ت). التنبيه والإشراف (تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي). القاهرة: دار الصاوي.
- مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب .(2002) .*تجارب الأمم وتعاقب الهمم*؛ ويليه :*ذيل كتاب تجارب الأمم*، للوزير ظهير الدين الروذراوري؛ ويليه :*الملحق بذيل الروذراوري* (تحقيق الدكتور أبو القاسم إمامي). طهران: دار سروش للطباعة والنشر.
- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد،. (1991). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ط3). القاهرة: مكتبة مدبولي.
- ممفورد، لويس .(2016) .*المدينة على مر العصور: أصلها وتطورها ومستقبلها* (إشراف ومراجعة وتقديم إبراهيم نصحى، تصدير حسين نصار). القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- الموسوي، مصطفى عباس(1982) *العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية* .العراق: منشورات وزارة الثقافة والاعلام.
- ميدلتون، غاي د. (2023). فهم الانهيار بين التاريخ القديم والخرافات المعاصرة (ترجمة: أمير عثمان، مراجعة: ممدوح الشيخ). بيروت: نماء للبحوث والدراسات.
- الهمذاني، رشيد الدين فضل الله. (د.ت). جامع التواريخ (ترجمة محمد صادق نشأت وآخرين، مراجعة وتقديم يحيى الخشاب). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
- وهيبة، عبد الفتاح، (1980). في جغرافية العمران. بيروت: دار النهضة العربية.
- اليازجي، محمد ميسر محمد بهاء الدين. (2011). الأزمات الاقتصادية في العراق (447–656هـ / 1055–1258م) [أطروحة دكتوراه غير منشورة]. جامعة الموصل، كلية التربية.
- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح. (2001). البلدان (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

Bibliography of Arabic References (Translated toEnglish)

- Berger, A. S. (1978). The city: Urban communities and their problems. Dubuque, IA: Wm. C. Brown Company Publishers.
- Cousin, V. (1967). The spirit and purpose of geography. USA: Hutchinson & Co. (Publishers) Ltd.
- Geddes, P. (1915). Cities in evolution. London: Williams & Norgate.
- Huntington, E. (1915). Civilization and climate. New Haven, CT: Yale University Press.
- Huntington, E. (1945). Mainsprings of civilization (3rd printing). London: Chapman and Hall.
- Maisels, C. K. (1993). The emergence of civilization: From hunting and gathering to agriculture, cities, and the state in the Near East. London and New York: Routledge Taylor & Francis Group.
- Sauvaget, J. (1941). Alep: Essai sur le développement d'une grande ville syrienne, des origines au milieu du XIX siècle. Paris: Librairie Orientaliste Paul Geuthner.
- Sjoberg, G. (1960). The preindustrial city: Past and present. United States of America: The Free Press.
- Strabo. (n.d.). The geography (H. Hamilton & W. Falconer, Trans.). London: Henry G. Bohn.
- Zhuang, Y., & Altaweel, M. (2018). Water societies and technologies from the past and present. London: UCL Press.
- Ibn al-Athir, ʿAli ibn Abi al-Karam Muhammad ibn Muhammad al-Jazari. (1997). Al-Kamil fi al-Tarikh. Edited by ʿUmar ʿAbd al-Salam Tadmuri. Beirut: Dar al-Kitab al-ʿArabi.

- Ibn al-Azraq, Muhammad ibn ʿAli ibn Muhammad al-Asbahi al-Andalusi. (n.d.). Badaʾiʿ al-Silk fi Tabaʾiʿ al-Mulk. Edited by ʿAli Sami al-Nashar. Iraq: Ministry of Information.
- Ibn Abi Usaybiʿa, Ahmad ibn al-Qasim ibn Khalifa ibn Yunus al-Khazraji. (n.d.). ʿUyun al-Anbaʾ fi Tabaqat al-Atibbaʾ. Edited by Nizar Rida. Beirut: Dar Maktabat al-Hayat.
- al-Baladhuri, Ahmad ibn Yahya ibn Jabir ibn Dawud. (1988). Futuh al-Buldan. Beirut: Dar wa Maktabat al-Hilal.
- Ibn Jubayr, Muhammad ibn Ahmad ibn Jubayr al-Kinani al-Andalusi. (n.d.). Rihlat Ibn Jubayr. Beirut: Dar wa Maktabat al-Hilal.
- Ibn al-Jawzi, ʿAbd al-Rahman ibn ʿAli. (1992). Al-Muntazam fi Tarikh al-Muluk wa al-Umam. Edited by Muhammad ʿAbd al-Qadir ʿAtta and Mustafa ʿAbd al-Qadir ʿAtta. Beirut: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyya.
- al-Harbi, Khalid ibn Khudayr ibn ʿAliyan. (2024). Faydhanat Nahray Dijla wa al-Furat wa Atharuha ʿala al-Hayat al-ʿAmma fi al-ʿIraq khilal al-ʿAsr al-ʿAbbasi 132–656 AH: Dirasah Tarikhiyya. Majallat al-Maʿhad al-ʿAli lil-Dirasat al-Nawʿiyya, 4(7), January.
- al-Hamawi, Shihab al-Din Abu ʿAbd Allah Yaqut ibn ʿAbd Allah al-Rumi. (1995). Muʿjam al-Buldan (2nd ed.). Beirut: Dar Sadr.
- Ibn Hawqal, Muhammad ibn Hawqal al-Baghdadi al-Musili. (1983). Surat al-ʿArd. Beirut: Dar Sadr (Offset Leiden).
- al-Khatib, ʿAbd al-Rahman Yunus. (2014). Al-Miyah fi Hadharat Wadi al-Rafidayn (1st ed.). Baghdad: Bayt al-Hikma.
- Ibn Khaldun, ʿAbd al-Rahman. (1981). Al-ʿIbar wa Diwan al-Mubtadaʾ wa al-Khabar fi Tarikh al-ʿArab wa al-Barbar wa Man ʿAsarahum min Dhawi al-Shaʾn al-Akbar. Edited by Khalil Shahada, reviewed by Suhayl Zakkar. Beirut: Dar al-Fikr.

- al-Dawsuki, Idris Muhammad Hasan Ahmad. (2022). ʿAwamil Kharab wa Idmihlal al-Mudun fi al-Mashriq al-Islami min al-Qarn al-Thalith ila al-Sabiʿ al-Hijri / al-Tasiʿ ila al-Thalith ʿAshar al-Miladi (1st ed.). Damascus: Tammuz Dimoozi for Printing and Publishing.
- al-Dhahabi, Shams al-Din Muhammad ibn Ahmad ibn ʿUthman. (1993). Tarikh al-Islam wa Wafayat al-Mashahir wa al-Aʿlam. Edited by ʿUmar ʿAbd al-Salam Tadmuri. Beirut: Dar al-Kitab al-ʿArabi.
- Ibn Abi al-Rabiʿ, Shihab al-Din Ahmad. (1996). Suluk al-Malik fi Tadbir al-Mamalik. Damascus: Dar Kanana for Printing, Publishing, and Distribution.
- Sibt Ibn al-Jawzi, Yusuf ibn Qizughli ibn ʿAbd Allah. (2013). Mirʾat al-Zaman fi Tawarikh al-Aʿyan. Edited by Muhammad Barakat et al. (1st ed.). Damascus: Dar al-Risalah al-ʿAlamiyya.
- Susa, Ahmad. (1949). Ri Samarra fi ʿAhd al-Khilafa al-ʿAbbasiyya (1st ed.). Baghdad: Maʿrif Press.
- Susa, Ahmad. (1963). Faydhanat Baghdad fi al-Tarikh (2nd ed.). Baghdad: al-Adib al-Baghdadiyya Press.
- Dayf, Shawqi. (n.d.). Al-ʿAsr al-ʿAbbasi al-Awwal (8th ed.). Cairo: Dar al-Maʿarif.
- al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. (1967). Tarikh al-Tabari = Tarikh al-Rusul wa al-Muluk. Followed by: Sila Tarikh al-Tabari by ʿArib ibn Saʿd al-Qurtubi, Takmilat Tarikh al-Tabari by Muhammad ibn ʿAbd al-Malik al-Hamadhani, and al-Mukhtasar min Kitab Dhayl al-Mudhayyal by al-Tabari. Edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. Egypt: Dar al-Maʿarif.
- ʻAbd al-ʻAl, Taha Husayn. (2013). Al-Kawarith al-Tabiʻiyya fi Bilad al-ʻIraq wa Fars fi al-ʻUsur al-Buwayhiya wa al-Saljuqiyya. Cairo: Dar al-Afaq al-ʻArabiya.
- ʿUthman, Muhammad ʿAbd al-Sattar. (1988). Al-Madina al-Islamiyya. Kuwait: ʿAlam al-Maʿrifa.

- ʿAtwi, ʿAbd Allah. (1996). Al-Jughrafiya al-Bashariyya: Siraʿ al-Insan maʿa al-Biʾa (1st ed.). Beirut: Dar al-Nahda al-ʿArabiyya.
- al-ʿAli, Salih Ahmad. (1988). Maʿalim Baghdad al-Idariyya wa al-ʿUmraniyya. Baghdad: Dar al-Shuʾun al-Thaqafiyya.
- al-ʿAli, Salih Ahmad. (2003). Al-Kufa wa Ahluha fi Sadr al-Islam: Dirasah fi Ahwaliha al-ʿUmraniyya wa Sukaniha wa Tanzimatihim (1st ed.). Beirut: Sharikat al-Matbuʿat lil-Tawziʿ wa al-Nashr.
- Ibn al-Faqih, Ahmad ibn Muhammad ibn Ishaq al-Hamdani. (1996). Al-Buldan. Edited by Yusuf al-Hadi (1st ed.). Beirut: ʿAlam al-Kutub.
- Ibn al-Futi. (2003). Al-Hawadith al-Jamiʿa wa al-Tajarib al-Nafiʿa fi al-Miʾa al-Sabiʿa. Edited by Mahdi al-Najm (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyya.
- al-Qatiʿi, ʿAbd al-Muʾmin ibn ʿAbd al-Haqq. (1992). Marasid al-Ittilaʿ ʿala Asmaʾ al-Amkina wa al-Biqaʿ (1st ed.). Beirut: Dar al-Jil.
- al-Kubaysi, Hamdan ʿAbd al-Majid. (1979). Aswaq Baghdad hatta Bidayat al-ʿAsr al-Buwayhi. Iraq: Ministry of Culture and Arts Publications.
- Ibn Kathir, Ismaʿil ibn ʿUmar. (1997). Al-Bidaya wa al-Nihaya. Edited by ʿAbd Allah ibn ʿAbd al-Muhsin al-Turki (1st ed.). n.p.: Dar Hajar lil-Tibaʿa wa al-Nashr wa al-Tawziʿ wa al-Iʿlan.
- al-Mawardi, ʿAli ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Habib al-Basri. (n.d.). Tashil al-Nazar wa Taʿjil al-Zafar fi Akhlaq al-Malik. Edited by Muhi Hilal al-Sarhan and Hasan al-Saʿati. Beirut: Dar al-Nahda al-ʿArabiyya.
- Muhammad, ʿUmar Muhammad ʿAli. (2016). Jughrafiyat al-Mudun bayn al-Dirasa al-Manhajiyya wa al-Muʿasira. Introduction by Ahmad Hasan Ibrahim (1st ed.). Alexandria: Dar al-Wafaʾ lil-Tibaʿa wa al-Nashr.
- Maraysiyya, Suha Salsabil, and Mashik, Ghadir. (1954). Madina Baghdad wa Dawruha al-Siyasi wa al-Hadari khilal al-ʿAsr al-ʿAbbasi al-Awwal (132–232 AH / 750–847 CE). Unpublished MA Thesis. Algeria: University of 8 May.

- al-Masʿudi, ʿAli ibn al-Husayn ibn ʿAli. (2005). Muruj al-Dhahab wa Maʿadin al-Jawhar. Edited and reviewed by Kamal Hasan Maʿrufi (1st ed.). Beirut: al-Maktaba al-ʿAsriyya.
- al-Masʿudi, ʿAli ibn al-Husayn ibn ʿAli. (n.d.). Al-Tanbih wa al-Ishraf. Edited by ʿAbd Allah Ismaʿil al-Sawi. Cairo: Dar al-Sawi.
- Miskawayh, Ahmad ibn Muhammad ibn Yaʿqub. (2002). Tajarib al-Umam wa Taʿaqub al-Himam; with Dhayl by al-Wazir Zuhayr al-Din al-Rawdhrawari; and Mulhaq by al-Rawdhrawari. Edited by Abu al-Qasim Imami. Tehran: Dar Soroush lil-Tibaʿa wa al-Nashr.
- al-Muqaddasi, Abu ʿAbd Allah Muhammad ibn Ahmad. (1991). Ahsan al-Taqasim fi Maʿrifat al-Aqalim (3rd ed.). Cairo: Maktabat Madbuli.
- Mumford, Lewis. (2016). Al-Madina ʿAla Marr al-ʿUsur: Asluha wa Tatawwuruha wa Mustaqbaluha. Supervised, reviewed, and introduced by Ibrahim Nashi, preface by Husayn Nassar. Cairo: al-Markaz al-Qawmi lil-Tarjama.
- al-Musawi, Mustafa ʿAbbas. (1982). Al-ʿAwamil al-Tarikhiyya li-Nashaʾat wa Tatawwur al-Mudun al-ʿArabiyya al-Islamiyya. Iraq: Ministry of Culture and Information Publications.
- Middleton, Guy D. (2023). Fahm al-Inhiyar bayn al-Tarikh al-Qadim wa al-Khurafat al-Muʿasira. Translated by Amir ʿUthman, reviewed by Mamduh al-Shaykh. Beirut: Namaʾ for Research and Studies.
- al-Hamadhani, Rashid al-Din Fadl Allah. (n.d.). Jamiʿ al-Tawarikh. Translated by Muhammad Sadiq Nashʾat et al., reviewed and introduced by Yahya al-Khashshab. Cairo: Dar Ihyaʾ al-Kutub al-ʿArabiyya.
- Wahiba, ʿAbd al-Fattah. (1980). Fi Jughrafiyat al-ʿUmran. Beirut: Dar al-Nahda al-ʿArabiyya.
- al-Yaziji, Muhammad Maysar Muhammad Bahaʾ al-Din. (2011). Al-Azmat al-Iqtisadiyya fi al-ʿIraq (447–656 AH / 1055–1258 CE). Unpublished PhD Dissertation. University of Mosul, College of Education.
- al-Yaʿqubi, Ahmad ibn Ishaq ibn Jaʿfar ibn Wahb ibn Wadih. (2001). Al-Buldan (1st ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-ʿIlmiyya.